عصور - تصنيف ج- المجلد 21 / العدد01 - جويلية 2022
EISSN 6278-2600 ISSN 1112- 4237
http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/167

معرف الكائن الرقمي للمقال 10.54239/2319-021-001-012 (DOI)

دور الإخوان الرحمانيين في ثورة 1871بمنطقة القبائل

Role of the rahmanians in the Revolution of 1871 in Kabylia area

ط.د. بوزياني هاجر*
جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان/ الجزائر
hadjer.bouzianie@univ-tlemcen.dz
أ.د. حجازي مصطفى
جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان/ الجزائر
hadjazi.histoire@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2022/01/10 تاريخ المراجعة: 2022/01/20 تاريخ القبول:2022/03/08

الملخص:

تعتبر ثورة 1871م من أعنف الثورات في القرن التاسع عشر ميلادي، التي كانت منطقة القبائل مسرحا لوقائعها، و التي أعادت روح المقاومة من جديد للشعب الجزائري، كان للزاوية الرحمانية بزعامة الشيخ الحداد دفعا قويا لها حول الثورة من طابعها الأرستقراطي إلى طابعها الجماهيري، انطلاقا من أهمية الموضوع و دوره في إثراء البحث التاريخي. لا يخفى على الباحثين في هذا الميدان مدى الأهمية التي احتلتها الطريقة الرحمانية خلال ثورة 1871م بمنطقة القبائل و التي كون أبناءها الجذوة التي ساهمت في إشعال فتيل هذه الثورة، و قبل خوض غمار البحث في صلب هذه الدراسة يستحسن طرح إشكالية الموضوع التي تتوقف في التساؤل عن: معالم دعم أبناء الطريقة الرحمانية لثورة 1871م؟ و ما الدور الذي أداه الإخوان الرحمانيون في هذه الثورة بمنطقة القبائل؟ من خلال ما أوردناه عن دور الإخوان الرحمانيين توصلنا إلى عدة استنتاجات يمكن حصرها في ما يلي:

* بوزياني هاجر، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان/ الجزائر

لقد كان لأبناء الطريقة الرحمانية دور أساسي في قيام و استمرارية ثورة 1871م بمنطقة القبائل تحت قيادة زعيمها السياسي الباشاغا الحاج محمد بن الحاج أحمد المقراني و التي ما كانت لحركته أن تعم و تنتشر و تضم إليها عشرات الآلاف من المجاهدين لولا قيام الإخوان الرحمانيين إلى جنبهم.

الكلمات المفتاحية: الطريقة الرحمانية؛ ثورة 1871؛ المقاومة؛ الشعب الجزائري، منطقة القبائل، الإخوان الرحمانيين، محمد بن عبد الرحمان الأزهري، الشيخ الحداد.

Abstract :

The revolution of 1871 was one of the most violent uprisings in the 19th century in Kabylia region .Hence , it restored the spirit of resistance in the Algerian people. Under the leadership of Sheikh Al-Haddad, al zawiya al rahmaniya had a strong impetus which reoriented the revolution from its aristocratic nature to the popular one . On the basis of the importance of the topic and its role in enhancing the historical research. It is apparent for historians the paramount importance of Rahmanyya's order during the 1871's uprising in the Kabylia region, in which its sons ignited this latter. In fact, the initial problematic of this research is to figure out the features of Rahmaniya order support to the 1871's uprising? And what role did the it play in this uprising in the Kabylia region?

Our findings determines that the Rahmaniya 's followers had crucial role in the rise and continuity of the uprising of 1871 in the Kabylia region under its political leader El Hadj Mohamed El Mokrani . As a matter of fact this revolution would neither spread nor join thousands of soldiers without the support of Alrahmaniya brothers.

Keywords : al tarika al rahmania; revolution of1871; resistance; algerian people; kabylia area; alrahmaniya brothers; mohammed ben abd errahmene al azhari; cheikh al haddad.

-مقدمة:

يعتبر المظهر العسكري أولى مظاهر المقاومة عند سكان منطقة القبائل (زواوة) والذي تجلى واضحا من خلال الاستعداد لخوض غمار الجهاد ضد العدو الفرنسي الذي جاء ليغتصب الديار، ذلك أن نزعة الدفاع والذود عن حمى الوطن خاصية ميزت تاريخ الجزائري بصفة عامة والذي عرف عبر التاريخ بالمقاوم، الأمر الذي يمثل تأصيلا قائما بذاته لعامل المقاومة العسكرية.

يمكن تشخيص المقاومة العسكرية لسكان منطقة القبائل (زواوة) للاستعمار الفرنسي من خلال استعراض المشاركة الفعلية لسكان المنطقة في المرحلة الأولى من رد الفعل الوطني على محاولة الفرنسيين دخول واحتلال مدينة الجزائر سنة 1830م، وما أعقب ذلك من بروز لبعض من زعماء وأعيان المنطقة رفعوا لواء الجهاد في ربوع المتيجة ضد التوسع الاستعماري الفرنسي وانضموا بعدئذ إلى صفوف ثورة الأمير عبد القادر وبلائهم في ذلك البلاء الحسن، تبع ذلك اعلان الشريف بوبغلة ولالة فاطمة نسومر المقاومة كاستمرارية لرفع راية الجهاد، والذي لم يخمد بل رفع لواءه من جديد مع بداية السبعينات من القرن التاسع عشر بنشوب ثورة 1871م، والتي عمت ثلثي القطر الجزائري فكان لمنطقة القبائل نصيبها الثوري منها.

تعتبر ثورة 1871م، أخطر ثورة ضد الوجود الفرنسي، بحيث امتد امدها ما يقرب من السنة شملت مناطق واسعة تكاد تشمل نصف البلاد تقريبا، بزعامة الباشا غا الحاج محمد بن الحاج أحمد المقراني، والزعيم الروحي الشيخ محمد أمزيان الحداد. شيخ الطريقة الرحمانية التي كان لها دور أساسي في قيام واستمرارية هذه الثورة بخروج طلاب الزوايا من سيدي موسى أويدير وآث وغليس وغيرها من الزوايا التابعة للطريقة الرحمانية استجابة لدعوة الجهاد .

لا يخفى على الباحثين في هذا الميدان مدى الأهمية التي احتلتها الطريقة الرحمانية خلال ثورة 1871م بمنطقة القبائل والتي كون أبناءها الجذوة التي ساهمت في إشعال فتيل هذه الثورة، كما كانوا النار التي استعرت لأجل الحرية بمنطقة القبائل، وقبل خوض غمار البحث في صلب هذه الدراسة التي سوف نعمل أن تكون جامعة قدر الإمكان، يستحسن طرح إشكالية الموضوع التي تتوقف في التساؤل عن: مظاهر دعم

أبناء الطريقة الرحمانية لثورة 1871م بمنطقة القبائل؟ و ماهي الإجراءات الانتقامية الاستعمارية المعتمدة في قمع ثورة الإخوان الرحمانيين بمنطقة القبائل؟

انطلاقا من أهمية الموضوع ودوره في إثراء البحث التاريخي وتوجيهه نحو مسائل ومواضيع ذات ارتباط بالتاريخ الوطني الجزائري جاء هدفنا من هذه الدراسة:

- إبراز الدور التاريخي المشرف لأبناء الطريقة الرحمانية في ثورة 1871م بمنطقة القبائل التي رفعت لواء الجهاد ضد الاحتلال الفرنسي ووحدت كلمتها في مواجهته بمختلف السبل.
- كما ارتأينا من خلال هذه الدراسة الكشف عن جرائم ووحشية السلطات الاستعمارية الفرنسية في حق قادة هذه الثورة، والشعب بصفة عامة، وإزالة الستار عن سياستها اللاإنسانية الرامية إلى اجتثاث رغبة تجديد المقاومة والإمعان في تفقير السكان إلى أبعد الحدود.
- كذلك مساهمة أبناء الطريقة الرحمانية في ثورة 1871م بمنطقة القبائل تعتبر من المحطات الهامة في مقاومة سكان منطقة القبائل للاحتلال الفرنسي الذي أولى اهتماما بالغا بهذه المنطقة، إلا أن هذه المقاومة لازالت تحتاج إلى المزيد من الدراسة والتعمق فيها أكثر قصد إعطاء صورة واضحة عنها.

إن طبيعة الدراسة التاريخية وخصوصية الموضوع الذي علينا البحث في إشكاليته فرض علينا إتباع المنهج التاريخي في عرض الحقائق والأحداث، تخلله نوعا من التحليل للوصول إلى استنتاجات موضوعية.

إن أغلب الدراسات السابقة التي تناولت موضوع الطريقة الرحمانية هي دراسات ذات طابع ديني ساهمت في التعريف بالطريقة الرحمانية كطريقة صوفية لها قاعدة جماهير مساحات شاسعة من القطر الجزائري فجل هذه الدراسات عرفن بالطريقة الرحمانية من حيث أصولها وانتشارها، ومنهجها باعتبارها طريقة دينية من خلال الوقوف على أركانها وأوصافها وآدابها وآرائها وأورادها وشيوخها وأعلامها كالدراسة التي قام بها **الأستاذ عبد المنعم القاسمي الحسني (الطريقة الرحمانية الخلوتية الأصول والآثار منذ ظهورها إلى غاية الحرب العالمية الأولى)** وهي رسالة مقدمة لنيل درجة

الدكتوراه في العلوم الإنسانية، تخصص عقيدة والتي عالج من خلالها الأصول التاريخية والمنابع التي استمدت منها الطريقة الرحمانية كالطريقة السهروردية والخلوتية، كما تتبع المراحل التي مرت بها الطريقة الخلوتية وفروعها وأيضا مراحل الطريقة الرحمانية لكا ما ميز دراسته هو ابتعادها التام عن المناقشات التاريخية باعتباره ليس متخصصا في التاريخ.

دراسة **الأستاذة ماجدة القاسمي الحسني (الطريقة الرحمانية أركانها وأصولها)** هي رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية كلية أصول الدين، والتي تناولت فيها الخطوط العريضة للطريقة، أركانها الأربعة (الجوع، الصمت، السهر، الاعتزال) كما هو معروف لدى الطرق الصوفية وأصولها الثلاثة عشر في الجانب النظري من التوبة، المجاهدة، الخوف، الرجاء، الزهد وما إليه من بقية الأصول والتي تعرف بالمقامات.

أما الدراسات التاريخية التي عالجت موضوع جهاد الإخوان الرحمانيين فهي كثيرة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

- يحي بوعزيز، ثورة 1871م دور عائلتي المقراني والحداد فيها.
- يحي بوعزيز، وصايا الشيخ الحداد ومذكرات ابنه سي عزيز.
- يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرون.
- الطاهر أوصديق، ثورة 1871م.
- الصديق التواتي، المبعدون إلى كاليدونيا الجديدة، مأساة هوية منفية ، نتائج وأبعاد ثورة المقراني والحداد.
- Rinn louis, histoire de l'insurrection de 1871 en Algérie.
- Le colonel N.Robin, l'insurrection de la grande kabylie en 1871.
-

1- التعريف بالطريقة الرحمانية:

الطريقة الرحمانية هي طريقة دينية نشأت في الجزائر أواخر القرن الثاني عشر الهجري وهي أحد المعالم الرئيسية البارزة وظاهرة دينية روحية اجتماعية وسياسية عامة وهي من أكثر الطرق الصوفية انتشارا بالجزائر.(عليوان أسعيد، 2002: 52)

1-1- أصول الطريقة الرحمانية:

الطريقة الرحمانية طريقة دينية صوفية نشأت في الجزائر في أواخر القرن الثاني عشر هجري- الثامن عشر ميلادي على يد مؤسسها الشيخ محمد بن عبد الرحمان الأزهري ومنه أخذت اسمها، وهي تمثل أحد المعالم الرئيسية البارزة وظاهرة دينية روحية اجتماعية وسياسية هامة في تاريخ الجزائر المعاصرة، وهي طريقة تدعو الى احترام مبادئ الدين الإسلامي الحنيف والعمل على نشر الخير والفضيلة والأخلاق الحميدة (القاسمي عبد المنعم الحسني ، 2005: 106- 116)

تعرف الطريقة الرحمانية بالطريقة الخلوتية وهي الأصل، والتي تعود أصولها الأولى إلى الطريقة السهروردية نسبة الى الشيخ أبو النجيب عبد القاهر بن عبد الله بن محمد بن عموية (490هـ-563هـ/1097م-1168م) واسمه عبد الله بن سعد وينتهي نسبه إلى سيدنا أبي بكر الصديق ويلقب المؤسس بضياء الدين السهروردي شيخ وقته بالعراق (ابن خلكان أحمد بن محمد، 1968: 204) أما المؤسس الحقيقي والفعلي هو الشيخ شهاب الدين عمر السهروردي(539هـ-632هـ/1145م-1235م) (الشافعي حسن والعجمي أبو اليزيد، 2007: 75)

انتشرت الطريقة السهروردية في كل من الهند والصين والشرق الأوسط وتفرعت عنها العديد من الطرق الصوفية مثل الأبرهية الكبروية الملوية الجلوثية الخلوتية (الكوثري محمد زاهد، 2004: 21- 24) المنسوبة الى الشيخ أبو الفيض محمد بن نور كريم الدين الخلوتي الخوارزمي(ت 166هـ/783م)الذي أخذ عن الشيخ إبراهيم الزاهد الكيلاني عن جمال الدين التبريزي عن ركن الدين أبي الغنائم محمد بن الفضل السنجاني عن قطب الدين الأبهري عن أبي النجيب السهروردي (الجبرتي عبد الرحمن بن حسن الجبرتي، 1998: 339- 341) أن أصل الطريقة الرحمانية هي الطريقة الخلوتية بل أنها في البداية لم تكن تعرف إلا باسم الخلوتية وبعد وفاة ابن عبد الرحمان الأزهري نسبت إليه فقيل الطريقة الرحمانية الخلوتية. والخلوتية هي طريقة صوفية شهيرة وهي فرع من فروع الطريقة السهروردية وتعد من أهم الطرق في تركيا ، وانتشرت بين الصوفية الأكراد والفرس والأتراك أولا، ثم انتقلت إلى باقي المناطق كالعراق والشام والحجاز ووصلت إلى باكو وأذربيجان وأوروبا الشرقية وشمال افريقيا (ليبيا ، تونس، الجزائر والمغرب) (Coppolani Xavier, Dupont octave, 1897:. 33)

انتشرت الطريقة الخلوتية بالمغرب الإسلامي منذ أواخر القرن 12 وبداية القرن 13 هجري وقد تم لها انتشار واسع وسريع على يد أعلام أخذوها عن خلفاء الشيخ مصطفى البكري (مفتاح عبد الباقي، 2004: 78) ومن أشهرهم العارف بالله أحمد الصقلي وهو أمحمد الصقلي الحسيني (ت 1177هـ/1764م) وولد بفاس (1112 هـ/ 1701م) حفظ القرآن وتفقه على علماء جامع القروين (المراكشي العباس بن إبراهيم، 1974: 29) وكان قد اتخذ مجموعة من الصلحاء كرفقاء له وهم على الخصوص: محمد التاودي ابن ودة السري (الجبرتي عبد الرحمن بن حسن الجبرتي، 1998 :53-54) وعبد الوهاب التارزي (بن مخلوف محمد بن محمد، 1930: 372)

أخذ أحمد بن أحمد الصقلي الحسيني الطريقة الخلوتية عن شيخها بمصر محمد بن سالم الخفناوي والإذن بتبليغها، ولما عاد إلى مسقط رأسه ذاع صيته، واجتمع عليه الكثير من الناس وأصبح يلقن أوراد الطريقة الخلوتية من جهة، ويزاول شعائره من جهة ثانية، توفي الشيخ الصقلي (7 رمضان 1177 هـ) بالمغرب الأقصى (المراكشي العباس بن إبراهيم، 1974: 390)

عمل الشيخ محمد بن سالم الخفناوي على نشر الطريقة الخلوتية بالمغرب الإسلامي فبعدما بعث تلميذه الشيخ أحمد الصقلي الفاسي إلى المغرب الأقصى لنشر الطريقة والتي لقيت نجاحا طيبا هناك ، أرسل إلى تلميذه محمد بن عبد الرحمن الأزهري يطلبه العودة إلى مصر منها إلى الجزائر لنشر الطريقة بها (باش تارزي) وقد أسس زاويته بقرية آيت إسماعيل والتي أدت دورا كبيرا في نشر العلم والطريقة الرحمانية في تلك الفترة وشرع في الوعظ وكللت دروسه بالنجاح مما جعل طلبة الزوايا المجاورة يغادرونها لحضور دروسه، وسرعان ما أصبحت قرية آيت إسماعيل قبلة لطلاب العلم والطريقة (بنعزوز محمد المكي، 1984: 122)

ظل محمد بن عبد الرحمن الأزهري لمدة 16 سنة لا يفارق منزله وبلدته، وبعد ذلك بدأ في الانتقال عبر المدن الجزائرية لنشر طريقته، وذلك بعد أن كوّن قاعدة صلبة وصار له الكثير من الأتباع والمريدين في مختلف المدن الجزائرية كمستغانم، البليدة، المدية، وهران، حتى تونس وطرابلس (الحسني عبد المنعم القاسمي، 2008-2009: 26).

1-2- ترجمة لمؤسس الطريقة الرحمانية:

هو محمد بن عبد الرحمان ابن أحمد أبي القاسم بن يوسف أبي علي ابن إبراهيم ابن عبد الرحمان أبي أحمد بن الحسن ابن طلحة ابن جعفر ابن محمد العسكري ابن عيسى الرضى ابن موسى المرتضى ابن جعفر الصادق ابن محمد الناطق ابن عبد الله ابن حمزة ابن إدريس ابن عبد الله ابن محمد ابن الحسن ابن فاطمة ابنة الرسول صلى الله عليه وسلم الملقب بالأزهري تبركا بجامع الأزهر بمصر، الزواوي إقليميا، القشتوالي قبيلة، الإسماعيلي عرشا، الباغليوي زاوية وقرية. (الحفناوي أبوالقاسم،1906: 468-469)

انتقل من المغرب الأقصى إلى بلاد القبائل واستقر هنالك داخل حلف قشتولة ببلاد زواوة.(ساحي أحمد، د.ت: 141)

أما مولده فنجد اختلافا واضحا، لأننا لا نجد فيما بين أيدينا من مصادر عن حياة الرجل ما يحدد لنا تاريخ مولده بالضبط، ولعل أقدم من كتب عنه هو دي نوفو (De neuveu) في كتابه (الإخوان، طرق دينية لدى مسلمي الجزائر) وضح أن مولده كان بين 1126هـ-1133هـ (De Neveu, 1913:110)

كما يذكر كل من كوبولاني وديبون: أن مولده بين 1126هـ و1133هـ/1715م و1722م(Coppolani, Xavier,1891:p382) وعند الشيخ الحفناوي التاريخ نفسه. (الحفناوي أبو القاسم، 1906: 468)

أما صاحب شجرة النور: محمد بن محمد بن مخلوف (ت:1355هـ)، فذكر أنه ولد 1123هـ(بن مخلوف محمد، 1930، ص 374) وفي تاريخ الجزائر الثقافي ذكر مولده بين 1127هـ و 1142هـ(أبو القاسم سعد الله، 1998: 514)

2-ثورة 1871م بمنطقة القبائل ودور الشيخ الحداد و أتباعه الرحمانيين فيها:

كانت الطرق الصوفية أهم مؤسسة واجهت الاحتلال الفرنسي، حملت لواء الجهاد وظلت تعرقل تقدمه، وباعتبار الطريقة الرحمانية أوسع الطرق الصوفية انتشارا فقد كان لها دور بارز في معظم الانتفاضات والثورات الشعبية خلال القرن 19م، وأثرت بشكل جلي في مسارها واستمرارها خاصة في منطقة القبائل إبان ثورة 1871م والتي أبدى الإخوان الرحمانيين بقيادة الشيخ الحداد دورا هاما فيها حول هذه الثورة من

طابعها الأرستقراطي إلى ثورة شعبية. (بوعزيز يحي، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرون، 2009: 257)

2-1- التعريف بمنطقة القبائل:

من التسميات التي ألحقت ببلاد القبائل" الزواوة" التي ذكرها ابن خلدون في قوله:" فأما زواوة من بطونهم(البربر) وقد يقال بأن زواوة من بطون كتامة... ومواطن زواوة بنواحي بجاية ما بين مواطن كتامة وصنهاجة، استوطنوا منها جبالا شاهقة متوعرة تنذعر منها الأبصار... وجبلهم مابين بجاية وتدلس". (بن خلدون عبد الرحمان، 2001: 104)

ومازال سكان الغرب الجزائري يستعملون مصطلح" زواوة"، وهي عين الصواب كما أن الذاكرة الشعبية في منطقة القبائل تحتفظ بكلمة زواوة عند الأرجاء والأشعار والأغاني التراثية (الزواوي أبو يعلى، 2005: 90) كما دأبت المصادر التاريخية العربية في ذكر علماء المنطقة بإضافة تسمية الزواوي إلى أسمائهم وقد استمر الوضع على هذا الحال إلى القرن العشرين. (فراد محمد أرزقي، 2005: 12-13)

اشتقت كلمة زواوة من كلمة أقاو جمعها إقاواون الدالة على مجموعة الأعراش(القبائل) التي تقطن شمال جبال جرجرة(آت عيسى، آت بطرون، آت إيراثن، آت منقلات، آت إيتسوغا) ونظرا لحيوية هؤلاء السكان الذين اشتهروا بالتجارة وصناعة الحلي والعملة التقليدية وجهودهم العلمية فقط أطلق المؤرخون اسمهم على الأقاليم الجغرافية المحيطة بهم بعد أن عدلوه عند كتابته باللغة العربية فصار يكتب ويرسم الزواوة .

تقع بلاد زواوة شرق العاصمة الجزائرية وتشمل مجمل أراضي ولايتي بجاية وتيزي وزو والجزء الشرقي من ولاية بومرداس والأجزاء الشمالية لولاية البويرة، سطيف، برج بوعريريج، أي تتكون من ستة ولايات إدارية في المجموع، مجمل أراضيها جبلية فقيرة، عمرها سكان محليون وعناصر أخرى وافدة من أعماق الجزائر وخارجها خاصة من المغرب الأقصى وموريطانيا والأندلس بحثا عن الاستقرار، هروبا من جحيم الحروب، خاصة بعد سقوط الأندلس ووقوع بجاية في قبضة الاحتلال الإسباني في حدود 1510م ،

فانتقلت ثقافة المدنية إلى الجبال ولعل هذا السبب هو العامل المساعد في انتشار هذا العلم وكثافة الزوايا بجبال زواوة. (الساحي أحمد، د.ت:17-19)

كانت بلاد زواوة في الماضي أحد منارات العلم والمعرفة في الجزائر، لاعتبارات جغرافية وسياسية واجتماعية، فهي من جهة ذات موقع جغرافي ممتاز، على ساحل البحر جعلها تنفتح على العالم الخارجي ومن جهة أخرى اتخذها الحماديون مستقرا لهم بعد مغادرتهم لقلعة بني حماد سنة 1067- 1068م، وجعلوا مدينة بجاية عاصمة لهم وأدى ذلك إلى ارتفاع وتيرة النشاط العلمي بها، بفضل تواصل أهاليها بمنابعهم المعرفية في المشرق والمغرب العربيين ولقدوم العلماء إليها من كل حدب وصوب، ورغم سقوط الدولة الحمادية فقط احتفظت المدينة بمكانتها المرموقة ازدهارها ظلت قبلة للعلماء والرحالة والصوفية، وربط أهلها الصلات العلمية بالشام ومصر، الحجاز، تونس، المغرب، أدى ذلك إلى انتشار مدارس عديدة، تخرج منها علماء كثيرون، لم تستوعبهم المدينة، لذا توجه بعضهم نحو المناطق الداخلية فأسسوا فيها زواياهم التعليمية فقامت بتعميم القراءة والكتابة ونشر العلوم الشرعية بالدرجة الأولى في أعماق الجبال، ويمكن أن نضيف إلى العوامل المذكورة دور مسلمي الأندلس النازحين إلى المنطقة وهو دور لا يستهان به في دفع عجلة المعرفة إلى الأمام، كل ذلك ساعد على ظهور المكتبات الخاصة لدى العائلات المتعلمة التي مارست مهنة التعليم والقضاء والتوثيق. (Robin, 1873: 157)

2-2-دور الإخوان الرحمانيين في ثورة 1871م

تعتبر الطريقة الرحمانية أوسع الطرق الصوفية انتشارا، كان لها الدور الأكبر في مقاومة الاحتلال سواء من خلال مساندتها للانتفاضات والثورات التي قادها زعماء ينتسبون إلى طرق أخرى، كثورة الأمير عبد القادر الذي كان من أقطاب الطريقة القادرية وثورة الناصر بن شهرة سنة 1851، وكذا ثورة الشريف محمد بن عبد الله المعروف بومعزة. من أتباع الطريقة الطيبية...أو من خلال الثورات التي قادها زعماء الطريقة الرحمانية كثورة المقراني التي كان الشيخ ابن الحداد زعيما روحيا لها كما سنوضحه(Ahmed Nadir, decembre 1972: 821) .

شكلت ثورة 1871م، أخطر ثورة واجهها الاستعمار الفرنسي في القرن التاسع عشر بعد ثورة الأمير عبد القادر (1832م-1847م) و أحمد باي (1832م-1848م) بحكم أنها هددت الوجود الاستعماري الفرنسي بالجزائر امتد أمدها قرابة السنة من 14 جويلية 1871 إلى 20 جانفي 1872، شملت مناطق واسعة تكاد تشمل ثلثي البلاد تقريبا، من شرشال غرب مدينة الجزائر إلى القل وعنابة وسوق أهراس شرقا ومن البحر المتوسط شمالا إلى أعماق الصحراء جنوبا وكانت جبال البِيبَانْ والبابور وجرجرة والحضنة والتيطري وحوض الصومام ووادي الساحل، ساحة لأهم معاركها. (بوعزيز يحي، ثورة 1871، دور عائلتي المقراني والحداد فيها، 1978: 349-350)

قسم بعض الباحثين ثورة 1871م، إلى ثلاث مراحل المرحلة الأولى وهي المرحلة المقرانية (14 مارس-5 ماي 1871م) (بوعزيز يحي، ثورة 1871، دور عائلتي المقراني والحداد فيها، 1978: 199-219) ، المرحلة الثانية (15 ماي-إلى منتصف جويلية) وهي المرحلة الرحمانية، أما المرحلة الثالثة (منتصف ماي 1871م إلى القاء القبض على بومرزاق في 20 جانفي 1872م) وهي مرحلة التلاشي الذاتي والانسحاب من الميدان بحثا عن مكان بعيد عن العدو. (بوعزيز يحي، ثورة 1871، دور عائلتي المقراني والحداد فيها، 1978: 226-227)

إن الحديث عن الثورة الرحمانية الكبرى بمنطقة القبائل التي انطلقت رسميا يوم 08 أبريل 1871 م، يتطلب منا الوقوف على الأوضاع التي كانت تعيشها المنطقة بعد ما تم إخضاعها رسميا في 1857 م ، لذلك فإن رصدنا لأهم الأحداث التي شهدتها المنطقة قبل انطلاق ثورة 1871 م سيكون محددا وفق إطار زمني يمتد من (1857-1871م) مع الوقوف على الإستراتيجية الاستعمارية الممارسة بمنطقة القبائل (زواوة) خلال هذه المرحلة :

- **و اقع منطقة القبائل (زواوة) ما بين (1857م- 1871م) :**

استخدم الاستعمار الفرنسي كعادته سياسة فرّق تسُد، وقد كانت هذه السياسة إحدى الخطط التي اعتمدت عليها فرنسا في الجزائر لتوطيد دعائمها طيلة الاحتلال و ذلك بتشويه التاريخ و محاولتها خلق النزاعات الإقليمية و تشجيع روح القبيلة. و لكي

تطبق هذه السياسة اعتمدت على الكتابات التاريخية و السياسية و الاجتماعية لبلاد الجزائر و مناطقها العديدة بدافع السيطرة و الاحتلال و خدمة الأغراض السياسية و الدينية للوجود الفرنسي بالجزائر. (بقطاش، خديجة، 2007: 135)

ركز الاستعمار الفرنسي اهتماما كبيرا بمنطقة القبائل لأنها حسبهم تمثل إقليما يتميز بخصائصه من حيث لهجة السكان و عاداتهم و تقاليدهم الخاصة التي جعلت الفرد القبائلي يتمسك باستقلاليته، و قد كان المخطط الاستعماري الفرنسي في الجزائر قائما على تحقيق هدف استراتيجي تمثل في العمل على إلغاء الوجود التاريخي للشعب الجزائري من حيث مقوماته الحضارية و قد تحددت معالم هذا المشروع الاستعماري في فكرة تقسيم سكان الجزائر و تصنيفهم إلى عرب و بربر و التخطيط الاستراتيجي لتهيئة الظروف في حالة انتهاء السيادة الفرنسية لتكوين كيانات محلية قائمة على التمايز و الخصوصية الإثنية (سعيدوني، 2001: 143) تحقيقا لمشروعها الاستعماري بدأت تعمل على ترويج المسألة البربرية قبل الاحتلال و بعده و ذلك من خلال الأدبيات الفرنسية بالدرجة الأولى، هذا ما جعل المسألة البربرية في الجزائر بعد الاحتلال تأخذ منعرجا خطيرا كان له تداعياته على تركيبة المجتمع الجزائري برمته، لذلك كان من الطبيعي أن يتحرك الفكر الاستعماري في مسار بارز المعالم قوامه إنعاش هذه الفكرة من خلال العمل على ترسيخها لدى هذه الشريحة من المجتمع الجزائري التي لم يكن لمجموعها قابلية الأخذ بها أو حتى تبنيها. . (بوضرساية، 2012: 08)

تمت صياغة "الأسطورة القبائلية " " الوهم القبائلي " في الفترة بين 1840 م - 1857 م ثم تعززت و تعمقت بين سنوات 1860 م – 1870 م و ذاع صيتها بين 1871 م – 1891 م (Ageron, 1968:267) فبعد إخضاع منطقة القبائل (زواوة) و إخماد المقاومات الشعبية بها (1844 م – 1857 م) انصب الاهتمام عليها من طرف الضباط الفرنسيين العاملين بالمنطقة و موظفي الإدارة المحلية المعروفة بالمكاتب العربية (bureaux Arabes) و بالدوائر البلدية المختلطة (communes mixtes) (سعيدوني،2001 : 143) و هذا ما أشار إليه الضابط كريت بقوله: " إن بلاد القبائل التي ظلت حتى الآن خارج الاتصال المباشر بنا و التي بقيت في حال صراع ضد جميع

السلطات السابقة يجب أن تصبح من هنا لبعض السنوات المساعد الأكثر إذكاء لمشاريعنا و الشريك الأنفع لأعمالنا...." (بوضرساية، 2012: 12) كما تركز نشاط الباحثين الفرنسيين بالشؤون الأهلية (affaire indigene) ، على رصد كلما يميز (القبائل، زواوة) عن غيرهم من الجزائريين، بتشجيع من الحكام العاملين بالجزائر مثل مارشال بيجو (marechal bugeaud) و الجنرال راندون (general randon) وماك ماهون (mac mahon) الذين كانوا يصدرون تعليمات خاصة بفصل القبائل عن غيرهم من الجزائريين في المعاملات و القوانين، و قد أبدى هؤلاء الضباط و الموظفون الفرنسيون حماسة وإصرارا في مهمتهم حتى عرفوا في أوساط الإدارة الفرنسية بالضباط والموظفين ذوي الميول القبائلية (officers cabylophiles) و تولدت عندهم قناعات تتلخص في فصل القبائل عن باقي الجزائريين و نظرا لكون تلك السياسة غير واقعية و مستحيلة التطبيق لرفض غالبية السكان لها فإنها ظلت مجرد فكرة و خطة سياسة، عرفت لدى العديد من الدارسين للسياسة الفرنسية في الجزائر بالخرافة القبائلية أو الوهم القبائلي mythe Kabyle و كان في طليعة من حلل هذه السياسة المؤرخ تشارل روبير أجرون .(Ageron, 1968:267)

بهذه السياسة حاول الاستعمار الفرنسي تمزيق الوحدة الوطنية للشعب الجزائري و ذلك بإحياء العصبية البربرية التي حاربها الإسلام، معتقدا أن البربر من أحسن الناس إسلاما و عروبة لهم كيانهم الخاص، و لهجتهم الخاصة، و أغراضهم التي تختلف عن كيان و لغة و أعراق بقية الجزائريين . (تركي: 20)

إن سياسة الأعراق و المراهنة على تمزيق الانسجام الداخلي الذي أحدثه الإسلام في المجتمع الجزائري قد تجلى واضحا طيلة القرن التاسع عشر ميلادي، عن طريق وضع منطقة القبائل بوجه خاص في مخبر ما سماه المؤرخ أجرون بالوهم أو الأسطورة القبائلية و قد تجند العسكريون و السياسيون و رجال الدين المسحيون لتحقيق هذا المشروع الإجرامي العنصري و فصل ما سموه العرب (الجنس الأسفل) عن البربر (الجنس الأعلى) المنحدر من الأصل الروماني أو الوندالي أو حتى المغولي وحددوا له ميزات سامية كالتسامح الديني و حب العمل ، و التفتح الفكري و إنهم أكثر الناس استعدادا

من البدو لقبول الحضارة الغربية لأنهم لا ينقصهم الشغف بالعلم ، و لا الاهتمام بالثقافة الأوروبية، ثم إنهم يعرفون بالعمل و المبادرة و الإقدام و الاقتصاد و حسن التدبير (مالتسان: 77-78) و ما يقابلها من ميزات منحطة وصف بها الجنس العربي (أجيرون، 2002: 7-10) و قد أوجد هذا التقسيم العسكريون الفرنسيون الذي قسموا المقاومين الجزائريين إلى قسمين الفرسان وهم عرب ، المشاة و هم كابيل ومن هذه العبارة اشتقوا عبارة كابيلي أي منطقة القبائل ثم قراند كابيلي grande Kabylie (منطقة جرجرة) و بتيت كابيلي petite kabylie (المتضمنة وادي الصومام والقرقور و ساحل شمال قسنطينة و البابور) بغض النظر على لسان السكان، ثم حددوا وجود عرقين منفصلين في الجزائر عرق عربي وآخر قبائلي و إنه يتعين عن الفرنسي التحالف مع الثاني للقضاء على الأول. (سعيدي،2013 : 136)

بدأت المسألة البربرية تتضح مباشرة بعد احتلال منطقة القبائل وكان من بين معالمها في سياسة الحكم العسكري هو صدور العديد من المراسيم و الأوامر و القرارات الرسمية التي تظهر مميزات البربري و إبراز خصوصياته على العربي وهذا يعني في نظر إدارة الاحتلال العسكرية أن هناك مجتمعان في الجزائر لابد من الفصل بينهما. فكان مرسوم 27 سبتمبر من سنة 1858 م الخاص بتعيين مستشاري الأهالي العامين وهو التعيين الذي كان يقدم بواسطة الإمبراطور نابليون الثالث بناء على اقتراح من وزير المستعمرات. و كان الأعضاء المعنيون يعاملون مثل الأعضاء الفرنسيين وبناء عليه أصبح للسكان البربر في فترة النظام العسكري مستشارون، بالإضافة إلى مرسوم أكتوبر 1958 الذي صرح بأن أعضاء المجالس العامة يمكن اختيارهم من الأهالي هذا ما أكده البند السابع عشر من المرسوم نفس المبدأ تم تأكيده في مرسوم 11 جوان 1870 م ومرسوم 28 سبتمبر1870 م الخاصة بالمجالس العامة في الجزائر . (GENIAUX, 1917: 03 – 04)

ما من شك أن مرحلة الهيمنة العسكرية على منطقة القبائل، قد زادت من عزيمة دعاة المسألة البربرية في التركيز عليها ، من خلال سلخها عن محيطها الاجتماعي العام لذلك نجد أن إستراتيجية الحكام العسكريين منذ (1857 م – 1871 م) كانت قائمة على ضرورة هدم البنية الإدارية التقليدية لمنطقة القبائل و هذا ما بادر به الحاكم

العسكري الجزائري المارشال راندون randon (AZAN: 109-118) الذي أصدر قرار يحمل رقم 497 و المؤرخ في 11 جانفي 1858م، يعلم فيها الضباط العسكريين المشرفين على المكاتب العربية المتواجدة بمنطقة القبائل على ضرورة التعامل مع سكانها البربر ، تعاملا خاصا بحيث تم التخلي عن العمل بالشرع الإسلامي وكل القضايا التي لها صلة به بعد أن كانت المكاتب العربية من قبل تتعامل مع البربر وفقا لهذا الشرع وعلى هذا الأساس تم استبدال الشرع بالعرف البربري الذي و إن ادعى الفرنسيون أن يتلاءم مع عاداتهم و تقاليدهم بل هو مستوحى منها إلا أنه لا يمت بصلة إلى الشرع الإسلامي لذلك اعتبروا البربر بأعرافهم يكونون أقرب إليهم و إلى نظامهم . (إحساين، 1887: 11-12)

كما أولت السلطات الاستعمارية اهتماما كبيرا بتنصير منطقة القبائل، إذ بدأت الجهود التنصيرية رسميا في الجزائر بتأسيس أسقفية الجزائر سنة 1838م و تعيين القس أنطوان أدولف ديبوش DUPUCH على رأسها(MERCIER, 1938:14) و قد كان تركيزه في عملية التنصير داخل الجزائر على منطقة القبائل بالدرجة الأولى، ثم عين الراهب بافي Bavy كثاني رئيس لأسقفية الجزائر ما بين 1846 – 1866، الذي كان متعصبا للمسيحية ومن رجال الدين المؤمنين بضرورة إرجاع الجزائر و سكانها إلى الحظيرة المسيحية بعد القضاء التام على الإسلام. (بقطاش، 2007: 111)

بنهاية مرحلة القس بافي ستعرف المسألة البربرية دفعا قويا كان وراءه الكاردينال لافيجيري (Mayaur , 1830 : 12)الذي جعل منها شغله الشاغل وعمل على خلق ثغرات طائفية تتمكن السلطة الفرنسية من تسخيرها في الجزائر وذلك من خلال تصريحاته الرامية إلى وجود عرقان بالجزائر وهم البربر أو القبائل وهم سكان الأصليون وهناك العرب وهم الشعب الغازي مضيفا أن منذ التحاقهم بالجزائر لاحظوا أن القبائل يكرهون العرب الذين يسيطرون عليهم بالقوة. (Edron,1926; 129-130)

وأعقب كلامه بوصف المجتمع القبائلي حتى يفصله ويميزه عن المجتمع العربي قائلا : " إنه مجتمع مثابر، بسيط شجا ، مستثنى من التعصب للدين قط، سلط عليه بالقوة، انفصل عن العرب من جراء امتعاض المضطهد و المضطهد، لم يخضع لقوانين الأتراك حافظ على التقاليد المسيحية كإشارة الصليب (بقطاش، 2007: 140) وحتى

قوانينه المسيرة لحياته المدنية، إن القبائل مقدور عليهم التحالف معنا و الرجوع إلى مصاف حضارتنا "(Lavigerie, 1884: 47) كما أنه ذهب إلى الاعتقاد بالأصول المسيحية لأهالي منطقة القبائل وليس هناك أفضل من الرجوع إلى ديانتهم صحيحة كما أدعى وأن الدم الذي يسري في عروقهم هو نفس دم الفرنسيين لأن أصلهم روماني مسيحي لذلك عمل على تطبيق مشروع متمثل في هداية سكان القبائل إلى الدين المسيحي(Emerit, 1960 : 48).

ركز الكاردينال لافيجري نشاطه التنصيري على منطقة القبائل ، خاصة وأنه قد جاء في المرحلة التي كانت المنطقة قد خضعت للسلطة العسكرية الفرنسية وقد اختار منطقة القبائل لعدة عوامل إثنية ولغوية وجغرافية وكذا فقر المنطقة. (بقطاش، 2007: 147)

لجأ لافيجري إلى البحث عن أساليب جديدة لإنجاح عملية التنصير (يسلى،2006: 132) وقد اعتمد برنامج ينص على :

- الوصاية إلى المنصرين بالتظاهر بمظهر التدين حتى يكسبوا الاحترام لأن المسيحي في نظر السكان إنسان كافر ، كما أوصاهم بإظهار المحبة للسكان حتى يتمكنوا من نفوسهم وفتح المدارس لأطفالهم. (Tiquet, 1936 : 165-167)

- العمل على تنصير الدوار بكاملها بهدف القضاء على روح التعصب الديني لديهم وهذا ما يعرف بالتنصير الجماعي لا الفردي .

- تقبل السّب والشتم والتحلي بالصبر والتسامح. (يسلى، 2006: 133)

- جذب أهل المنطقة عن طريق الأعمال الخيرية، والتظاهر بالسلم والتعايش ومساعدة الفقراء ومعالجة المرضى وتعليم الأطفال .

- الابتعاد عن التنصير المباشر والمكشوف في وسط القبائليين المسلمين لأن هذا الأمر قد يحدث تعصبا يكون خطرا على النشاط التنصيري . (سعيدي، النشاط التبشيري للكاردينال لافيجري في الجزائر، 1999: 40)

لقد كانت المسألة البربرية على عهد لافيجري في مرحلة نظام الحكم العسكري ما بين (1867م- 1871م) وذلك قبل سقوط النظام الإمبراطوري تحت حكم نابليون الثالث (بونابرت، 1842: 9-22) منعرجا خطيرا أثّر بشكل مباشر على فئة البربر من

معارضة بعض العسكريين، حيث استطاعوا تأليف العديد من الكتب لبعث المسألة البربرية من خلال إحياء اللهجة البربرية على حساب لغة القرآن والتي وصلت إلى حوالي ثلاثين مؤلفا لتكون مصدر إلهام المتنصرين من أبناء منطقة القبائل والذين سيتحملون مسبقا مسؤولية تبني المسألة البربرية و محاولة نشرها حتى بين سكان المغرب العربي من البربر على وجه الخصوص بربر المغرب الأقصى . (يسلي، 2006: 130-131)

لقد تعاقبت على الجزائر حملة من الكوارث تمثلت في سنوات من الجفاف و هجمات الجراد وتفشي الأمراض والأوبئة وحدثت زلازل محرجة ونتج عن كل هذا حدوث مجاعات حادة ، وأزمة اقتصادية واجتماعية فريدة من نوعها بالنسبة لهذا البلد وأهله ففي خلال أعوام 1865م - 1868م تواصل الجفاف والقحط على البلاد وأدى إلى انعدام المواد الغذائية (الحبوب) والعلف للحيوانات ، في سنوات 1867م - 1868م تفشى مرض الكوليرا - والتيفوئيد و انجر عنها موت عشرات الآلاف من الجزائريين (صاري، 2008: 191-230) و في عام 1869م، تفجر الوضع الاجتماعي بصورة خطيرة تمثلت في مجاعة حادة مات على إثرها عشرات الآلاف من الآباء والأجداد وعشرات الآلاف من قطعان الحيوانات و المواشي، نتيجة قلة الحبوب و العلف، و لم تفعل السلطات الاستعمارية شيئا تجاه المأساة. (بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، 2004: 230)

وفي عام 1869م و 1870م اجتاح الجراد منطقة مجانة التي أتلف فيها كل محصولات الفلاحين، مما زاد من بؤسهم الاقتصادي والاجتماعي بالإضافة إلى الأوبئة السابقة الذكر ، مما اضطر المقراني إلى أخذ قروض من البنوك والسماسرة اليهود بأرباح عالية ليساعد بها الفلاحين على توفير حبوب البذر مما سيولد مشاكل و صعوبات أواخر 1870.(Robin, 1901 : 50-51)

أما عن أسباب استجابة الإخوان الرحمانيين للثورة يمكننا حصرها في الدوافع التالية:

أولا : تزايد النشاط التنصيري بالمنطقة، خاصة قرار المجلس البلدي بمدينة الجزائر الذي نص على غلق المدارس الدينية بداية من 01 جانفي 1871 (Turin , 1970 : 80-

89) فكان هذا القرار أحد العوامل التي دفعت الإخوان الرحمانيين إلى الالتحاق بالثورة رغم أن رسائل المقراني وبومرزاق وقادة الإخوان لم تشر إلى التنصير في حد ذاته لكن الذي يظهر من ضمن الوسائل التي استعملوها لاستنفار الناس وتحفيزهم على الثورة هي آثار سياسة التنصير ففي رسالة الباشاغا المقراني إلى ابن كابا و كبراء قرية بوجليل بني عباس قال بعد التحية : " وبعد أن تتوكلوا على الله ورسوله تقدموا إلى الجهاد لنصرة دينكم عزما. " (بوعزيز، ثورة 1871م دور عائلتي المقراني والحداد،1978: 78)

ثانيا : الخصومة التقليدية والحادة بين زاويتي صدوق و شلاظة وتبادل الطرفين التهم والشتائم. فابن علي الشريف لم يتورع في اتخاذ أية وسيلة لتحطيم أسرة الحداد لدرجة أنه اقترحها على حاكم بجاية اعتقال عزيز ابن الحداد باعتباره مشوشا ، كما رفض مساعي محمد المقراني وغيره من أجل تحقيق الصلح بين العائلتين، بالمقابل فإن عزيز ابن الحداد دفع لرد الخطر و يدافع عن أسرته وأتباع زاوية أبيه، ومرارة عزيز من ابن شريف تجاوز الحد وقد اتضح ذلك من خلال مذكراته (بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين،2004: 256)ولعل هذا ما جعل (LOUIS RINN) يصف الشيخ محمد أمزيان بالسلم وعدم الميل للحرب لأنه حسبه يرى فيها تخريبا لزاويته وإمكانياتها المادية والدينية وأن ابنه عزيز كان عكسه تماما وأنه تسلط على والده حتى أقنعه بإعلان الجهاد يوم 08 أبريل 1871. (Rinn , 1891: 188-189)

ثالثا : السلوك السيء الذي اتبعه الشيوخ والقياد والموظفون وضباط الجيش الفرنسي تجاه الأهالي خاصة الإخوان، ففي رسالة بعث بها عزيز إلى حاكم بجاية يوم 14 جوان 1871 م، حمل فيها مسؤولية الحرب على هؤلاء القياد والضباط الذين خربوا و حطموا المسلمين دون رأفة بما يقومون به من نقل أخبار مزيفه له وأكد في مذكراته أن ارهاق القياد والمقربين للناس هو الذي دفعهم إلى الانضمام إلى صفوف الثوار و قال إني شهدت بنفسي كيف عانى سكان قرية صدوق من تبذير أموالهم في استضافة ولد ابن علي شريف حين قدم إليها و أقام أربع ليال كاملة. (بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، 2004: 256-257)فضلا عن التصرفات السيئة التي ارتكبها هذا الحاكم ضد عائلة الحداد والإخوان الرحمانيين التابعين لها وذلك بإرهاقهم بالضرائب الفادحة وحرمانهم من تطوير حياتهم الاقتصادية والاجتماعية وإتباع أسلوب التقسيم

والتفريق بينهم من الناحية السياسية. (بوعزيز، وصايا الشيخ الحداد ومذكرات ابنه سي عزيز، 1989: 21)

رابعا: الظروف العامة التي كانت تعيشها البلاد من الإقدام على إعادة التنظيم الإداري وإنشاء النظام المدني بدلا من العسكري(Ageron, 1968: 5) وإعطاء اليهود الجنسية الفرنسية بصفة جماعية وإجبارية وإرهاق الناس بالضرائب والتهديد بانتزاع أراضيهم وإعطائهم للمهاجرين الأوروبيين الجدد بعد حرب السبعين في أوروبا. كل هذه الأسباب كانت دافعا قويا لخوض الرحمانيين غمار الحرب ضد الاستعمار الفرنسي.) Rinn 1891:p97)

بدأت بوادر ثورة 1871م في شهر جانفي بتمرد الصبايحية في زمالاتهم، قرب بوغار وفي الطارف وعين القطار وبوقجار حول سوق أهراس بشرق البلاد، وأعلنت بصفة رسمية يوم 16 مارس 1871م، من طرف باشاغا مجانة. الحاج محمد المقراني، لكن بعد فشله في كسب تأييد ودعم العائلات الأرستقراطية للمشاركة في ثورته ووجهاء قسنطينة الذين استنكروا أعماله (آجرون ،2007:384) واكتشف مواطن ضعف الخطة التي اتبعها الثوار (فركوس ، 2002: 188-189) ولو أن المقراني فشل في استمالة رؤساء العائلات الارستقراطية فقد نجح في استمالة مقدم زاوية صدوق الرحمانية الشيخ محمد أمزيان الحداد، وهو مكسب كبير عوضه عن كل ما فقده في الآخرين، نظرا للمكانة التي يتمتع بها الحداد في مناطق جرجرة، البابور، البيبان، حوض الصومام، وادي الساحل علاوة على انتشار نفوذ الزاوية عبر مقاطعة الشرق. (بوعزيز يحي، موقف العائلات الأرستقراطية من الباشاغا المقراني وثورته عام 1871م، 1994: 15)

بعدما أدرك الباشاغا المقراني أن الدين عامل قوي في محاربة الأعداء، سعى أولا إلى إصلاح ذات البين بين زاوية صدوق والباشاغا ابن علي بن شريف بزاوية شلاطة، فتمكن بذلك من تحقيق مصالحة بين عائلة الشيخ الحداد بصدوق وعائلة ابن علي الشريف بشلاطة أواخر 1870م وربط علاقات وطيدة بين مجانة وصدوق (بطاش علي،د.ت: 142) ، وبعد انفجار الثورة في مجانة والبرج صباح 16 مارس من سنة 1871م، توالى رسل الباشاغا إلى صدوق لإقناع الشيخ أمزيان الحداد (طالبي عمار،

2004: 41-62) بالثورة في 06 أفريل 1871. الذي أخذ رسالته على محمل الجد، فاتصل بابنيه (أعزيز) والشيخ (أمحند) وكلفهما بدعوة كل المقدمين في صدوق للتشاور والتباحث معهم حول الموضوع، وفي صباح يوم 8 أفريل احتشد عدد كبير من اتباع الزاوية اين صلى بهم ودعا الشيخ الحداد اتباعه لاقتحام ميدان الجهاد وتحرير الوطن. (بوعزيز يحي، وصايا الشيخ الحداد ومذكرات ابنه سي عزيز، 1989: 17-18)

بعد إعلان الشيخ الحداد الجهاد ارتمى الإخوان الرحمانيون في الثورة وتجاوز عددهم 120 ألف مجاهد في أقل من نصف شهر وهذا راجع إلى نفوذ الزاوية وانتشارها في أغلب مناطق بايلك الشرق حيث بلغ نفوذها إلى مناطق بعيدة في الجزائر، وباعتبار الزاوية تمثل الطبقة الشعبية فقد ارتمى الشعب بكل فئاته في هذه الثورة بمجرد وصول نداء الشيخ الحداد إليهم بينما لم يستطع المقراني أن يجند خمسة وعشرون ألف مجاهد قبل ذلك. (العسلي بسام، د.ت: 147)

ومن هنا نلاحظ أن نفوذ المقراني كان محدودا مقارنة بالشيخ الحداد وهذا راجع إلى كون الأسرة كانت لأسرة ارستقراطية كان لها تعامل مع الفرنسيين في المنطقة هذا ما أدى إلى نفور الأهالي من العائلة والالتفاف حول الزاوية التي كانت تعمل على حمايتها وهذا الأمر أصبح خطر على السلطة الفرنسية (بوعزيز يحي، ثورات القرنين التاسع عشر والعشرين، 2009: 211) وبدخول الحداد للثورة تحولت الحرب من طابعها الارستقراطي إلى ثورة شعبية .(Julien Charles-André, 1952: 482)

انتقل خبر الثورة بسرعة فائقة في منطقة القبائل الكبرى التي انتفضت برمتها. (أوصديق الطاهر، 1989: 57) وكان انضمام الزاوية الرحمانية إلى الثورة يعني التحام صف الاجواد بصف المرابطين، مما ساعد على التفاف الشعب حولها، ونسي المتخاصمون ضغائنهم وأحقادهن، وتسامح المقرانيون حيث انضم ابن عبد السلام المقراني وابن القندوز المقراني إلى صف الثورة يوم 1871/04/17م. (أبو القاسم سعد الله، 1998: 253)

في هذه الثورة كانت هناك قبائل استجابت لنداء الرحمانية وهناك قبائل أخرى أرغمت شيوخها على إعلان الثورة، واستطاع الحداد ان يقنع بعض شيوخ الزوايا المترددين مثل وكيل زاوية عبد الرحمان بوقربرين والشيخ محمد الجعدي (Agéron

(charles-robert, 1968: 10)وضغط عيسى ابن الشيخ الحداد على ابن علي الشريف شيخ زاوية شلاطة حتى أعلن الجهاد هو الآخر بعدما كان محايدا-Julien charles) . André, 1952:485)

من أبرز القادة الرحمانيين أيضا المقدم بن سي سعدون القريشي شيخ زاوية فرجيوة، المقدم الحسين بن الشريف رئيس زاوية مولاي الشقفة، وعمر بوعرعور، محمد بن فيالة مقدم زاوية سيدي ورتيز، وكان الشيخ محمد شقيق سي عزيز يقود الثورة في المنطقة الغربية لوادي الصومام وقاد الثورة في ذراع الميزان وسور الغزلان وبني منصور، مقدم الزاوية الرحمانية هناك محمد الجعدي، وبرز في منطقة تيزي وزو المقدم علي القاضي، وفعل مثلهم مقدمو فليسة، وبني عيسى ويسر. وأربعاء ناث إيراثن والأخضرية، وشيخ زاوية فليسة، وآيت زلال، وكذا زاوية بومرداس والجزائر العاصمة وأحوازها. (بوعزيز يحي، ثورة 1871، دور عائلتي المقراني والحداد فيها، 1978: 239-240)

أما عن امتداد مجريات الثورة إلى منطقة القبائل الكبرى والصغرى فإنه كان لزاوية صدوق أنصار وإتباع فيها، كما كان لها صلات روحية مع بعض الزوايا الأخرى في الجزائر العاصمة وحوض الشلف وواحات الجنوب الشرقية، ويمكن استعراض أهم المقدمين الذين خدموا الطريقة الرحمانية وكانوا وراء اثارة حمية الجهاد بمنطقة القبائل على النحو التالي:

-منطقة دلس: برز فيها الشيخ محمد بن علي بن محمد بن محي الدين الذين أعلن الجهاد في أفريل 1871م باسم الطريقة الرحمانية، وتبعه كل إخوته منهم الحاج عمر بن محي الدين، ومقدمو فليسة وبني عيسى، ويسر، والأربعاء نَاث إيراثن، وبني هني (الاخضرية)، وشيخ زاوية قربيسة، وأت زلال، وسيدي سعيد أو طالب، الذي أدوا دورا مهما في هذه الثورة (Louis Rinn, 1891: 81-82) .

-منطقة الأربعاء ناث إيراثن: كان المقدم ذي الكلمة المسموعة محند أو علي أو سحنون من أولاد سحنون قبيلة إيراثن، الذي جند العديد من الإخوان للحرب بالمنطقة رفقة مجموعة من الإخوان نذكر منهم: إبراهيم من تاوريت، علي أوناصر من قبيلة بني إتورار،

وسي محند الحسين من بوعبد الرحمان من قبيلة آت واسف ومحمد اصدقاون من آت ايجد وسي حمو بودية من آت ايتورار.(Robin, 1873, p72) .

-منطقة ذراع الميزان: مهد لنظام الطريقة الرحمانية بالجزائر. سنة 1871، كان وكيل الزاوية بها الشيخ موسى الحاج محمد بن محمد الملقب بالجعدي، إلى جانب بعض المقدمين التابعين له أمثال: الحاج محند والحاج بلقاسم من بني إسماعيل، سي محند أرزقي وريبة بن علي العمراوي من مشتواس، أو علي نايت بوزيد من أولاد منداس، وسي محند الوناس من أولاد علي من قبيلة بني خلفون.(Robin, 1873:77) .

_المنطقة الغربية لوادي الصومام: برز فيها الشيخ محند شقيق سي عزيز بن الشيخ الحداد، الذي خاض العديد من المعارك كمعركة تالة وريان يوم 24 ماي 1871م ضد قوات ريلهاك (Reylhak) حاكم بجاية واعوانه من عائلة أورايح المتعاونة مع السلطات الاستعمارية(Gaid mouloud, 1991: 163) .

-منطقة تيزي وزو: كان يتولى قيادتها الشيخ القايد علي ابن أوقاسي، إلى جانبه أبناء بلقاسم أوقاسي الثلاثة (محند أمقران-محمد السعيد ومحند). تضاف اليهم المقدمة خديجة بن كانون ابنة احمد بن كانون الزعيم السابق لبلدة يسر على عهد الأتراك . (Robin, 1873:77).

أما بقرية شرفة البشير من المعاتقة، تزعم لواء الدعوة للجهاد ابنا الشيخ البشير الذي كان من كبار شيوخ الطريقة الرحمانية بعد سي الحاج عمار وهما سي محند الصالح وسي أحمد.

وفي آت جناد ظهر المقدم سي محند أمقران الذي كان كثير التنقل بين بوهينون وصدوق (أوصديق الطاهر، 1989: 27). أما المعارك والاشتباكات المسلحة التي خاضها الرحمانيون في ثورة 1871م بمنطقة القبائل فكانت كثيرة، كانت البداية مع القضاء على القادة الموالين للسلطات الفرنسية أمثال بن علي الشريف باشاغا شلاطة ومحمد أمزيان بن الموهوب شيخ زاوية العراش (العسلي بسام، د.ت: 150) كما تم معاقبة بني جليل في عديسة يوم 16 أفريل الذين تقاعسوا عن الاستجابة السريعة لنداء الثورة. (بوعزيز يحي، ثورة 1871، دور عائلتي المقراني والحداد فيها، 1978: 244)

في 21 أفريل تمركز الشيخ محمد بن الحداد في ثلاث مواقع لمتابعة حصار بجاية على بعد سبع كيلومترات منها، اين وضع قوة في بوشامة داخل جبل قوراية ، وقوة أخرى ثابتة في تيزي، أما القوة الثالثة فتركزت في تيرهانت في الضفة اليمنى من وادي الصومام، وحدثت اشتباكات جرح خلالها القائد أحمد أورابح المتعاون مع الفرنسيين، وفي هذا الوقت ذاته كان الثوار في إيلولن يهاجمون ابن علي الشريف في شلاطة. (أوصديق الطاهر، 1989: 153)

في 30 أفريل وقعت معركة كبيرة في جبل طافات بمنطقة البابور أين أحرز سي عزيز نجاحا كبيرا جعل عددا كبيرا من الثوار ينظمون لصفوف المجاهدين، أما فيما يخص حصار مدينة بجاية فقد تلقى اخوان الحداد زيارة بومرزاق يوم 16 ماي اين قاما بمعارك مشتركة فيما بين 20 و25 ماي (العسلي بسام، د.ت: 153)

في 01 ماي هاجم سي عزيز برج بلقاسم بن حبيلس (Louis Rinn, 1891:392) بالبابور ثم عرج على جهة العلمة وعين عبيسة، وحقق عدة انتصارات جعلت الناس ينضمون اليه، لكن المتعاونين مع فرنسا، أمثال داود بن كسكاس والحاج بوعكاز، أرغموه على الانسحاب من ناحية عموشة، والالتحاق بأخيه جهة بجاية، كما حدث بعد ذلك مجموعة من المعارك يومي 6و 7 ماي تمكن خلالها سي عزيز من التقدم إلى زمالة عين عبيسة وتدمير برجها، ليغادر بعدها عموشة وينظم إلى معسكر أخيه الشيخ محمد في تيزي الجمعة حول بجاية وما لبث أن انظم اليها بومرزاق، اين خاضوا مجموعة من الهجومات ضد الاستعمار الفرنسي (سعدي عثمان، 2012: 59)، والملاحظ هنا أنه على الرغم من وفاة الباشاغا محمد المقراني يوم 05-05-1871م. وتولى أخوه بومرزاق المقراني قيادة الثورة، إلا أن الثورة ازدادت انتشارا وتوسعا وقوة، لأنها كانت شعبية، وقوتها كانت مستمدة من الزاوية الرحمانية اكثر مما هي مستمدة من سيف الباشاغا محمد المقراني وبأسه. (أبو القاسم سعد الله،1998: 254)

خاض الثوار بزعامة سي عزيز وبومرزاق عددا من المعارك بداية من يوم 20 ماي 1871م، وقد شملت هذه المعارك كل ربوات تنية الغنم وقرية تاسة والحمام. وحول عموشة كما وقعت معركة كبيرة في جبل مَانْثانو يوم 25 ماي من نفس السنة louis) . Rinn, 1891:410)

كما شهدت قرية سلمة وأحوازها معارك كبيرة، وقام سي عزيز يومي 29 و30 ماي بإحراق كل مراكز الأوروبيين والقادة الجزائريين الموالين لهم، ثم غادر المنطقة تاركا القيادة للمقدم ابن سي سعدون وعمر بوعرعور والطيب بن مبارك بودغيش لمهاجمة مدينة جيجل وكل ذلك يوم 09 جوان 1871م. (الجيلالي محمد عبد الرحمان، 1994: 307)

كما حقق الشيخ عزيز انتصارات جنوب مدينة سطيف، وأرسل رسائل يطالب فيها سكان صدوق تعزيز قواته التي كانت تعاني مشاكل ناحية قصر الطير ضد الجينرال (بونفالي) لكنه انهزم في معركة تالا ايفاتس ولم يستطع استمالة العائلات الموالية لفرنسا إلى جانب مقص الاساحة، (سعدي عثمان، 2012: 594) وعلى إثر ذلك اتجه العزيز وبعض اتباعه إلى صدوق لكنه صدم بالوضع السيء لأخيه الذي لم يحقق أي انتصار منذ معركة تالا وريان الشهيرة في 24 ماي 1871م ضد قوات ريلهاك واعوانه من عائلة أورابح.

نفس الشيء بالنسبة للأوضاع بمنطقة القبائل، حيث دب الضعف في صفوف جيش القائد علي أو قاسي وانهزم الثوار في معركة إيشريطن يوم 24 جوان 1871م، ضد الجنرال لالمان (LALMAN) الذي ارتكب جرائم وأحرق القرى (عليوان اسعيد، 2002:52) كل هذه الوقائع أدت بالشيخ عزيز إلى الاستسلام يوم 30 جوان 1871م رفقة كل من علي أوقاسي ومحمد أمقران ومحمد يونس. هذا الاستسلام الذي كان صدمة عنيفة بالنسبة لبومرزاق المقراني لأنه فقد اقوى حليف في هذه الثورة (العلوي محمد الطيب ، 1985: 45) ، وفي louis2 جويلية اعتقل محمد الحداد قرب بجاية، وفي 12 جويلية استسلم أبوهما محمد أمزيان بن الحداد(Gaid Mouloud, 1991:140-141).

على الرغم من استسلام عائلة الحداد، بقي الرحمانيون أوفياء للثورة خاصة في منطقة بني مناصر، وكان مالك بن صحراوي البركاني ناشطا حيث عمل على تجميع قوات من المجاهدين وترتيبها وتقسيمها إلى ثلاث مجموعات وجهت إحداها إلى تيزي الخميس، وبقي الباقي في محيط مدينة شرشال، كما راسل الوجهاء والأعيان على الثورة، حيث تشكلت جماعات مقاومة في الريف تهاجم مراكز العدو، لكن باستشهاده خمدت ثورة بني مناصر. (التواتي الصديق، 2010: 96)

أما من ناحية الشرق في جيجل وفرجيوة والبابور والقل، فقد كان الكفاح هناك تحت إدارة مولاي شقفة مقدم الطريقة الرحمانية، حيث انضمت إليه حشود كثيرة من المجاهدين كما كان الأخوان الرحمانيون يترصدون قوافل المستعمر، حيث هجم بوبقرة وإتباعه على قافلة للتموين كانت تقصد القل، ودام شهر أوت كله لتنظيم المناوشات المانعة للقوافل(Gaid Mouloud, 1991:143) .

أما بلقاسم بن مولاي الشقفة، فقد استمرت مناوشاته للقائد دولاكروا في شهر سبتمبر، على الرغم من اغارة بن حبيلس على إقليم بن وَرْدين وبني ياجيش واسره لأتباعه أمثال (سي إبراهيم بوصوفة ورابح بن جبار وسي احمد بن شيكروا واعدامهم رميا بالرصاص). (التواتي الصديق، 2010: 98)

على الرغم من استسلام أسرة الحداد واصل بومرزاق المقراني الثورة، واشتبك مع القوات الفرنسية في عدة معارك إلى أن سقط أسيرا في 20 جانفي 1872م. (الجيلالي محمد عبد الرحمان، 1994: 312)

الملاحظ على ثورة 1871م، انه بالرغم من فقدان قائدها المقراني لكنها لم تتأثر بحكم انها كانت ثورة شعبية تلقائية من جهة ولأن قوتها الشعبية كانت مستمدة من زاوية صدوق أكثر مما هي مستمدة من سيف المقراني وسمعته، فثورة الرحمانيين كانت أهم خطر واجهه الفرنسيون ولكن الثورة تأثرت بأمرين أساسيين، أولهما نسيان الفرنسيين لخلافاتهم والتفافهم حول بعضهم لمواجهة الثورة، ثانيا عودة الفرق العسكرية الفرنسية من الجهة الأوروبية (بعد الحرب البروسية الفرنسية) ووفرة العدد العسكري وتغلبهم في الجانب اللوجستيكي. (أوصديق الطاهر، 1989: 146-147)

من جانب آخر فإن ثورة 1871م. كانت تفتقر التخطيط والاعداد وتنقصها الإمكانيات المادية للنجاح باستثناء العنصر البشري الذي كان متوفرا. (Robin, 1873: 401-412)

3-انعكاسات ثورة 1871م على منطقة القبائل:

بعد معارك طاحنة بين الطرفين دامت حوالي سنة، تمكن الجيش الفرنسي من إحباط هذه الثورة، وكان من الطبيعي جدا أن تنتقم الإدارة الاستعمارية من الثوار،

فأخضعتهم لقانون الغالب وسلطت عليهم اقصى العقوبات بروح انتقامية. (أوصديق الطاهر، 1989: 147)

لم يسلم سكان منطقة القبائل، على غرار كل الجزائريين الثائرين على النظام الفرنسي، من الإجراءات الانتقامية التي استهدفت السكان وممتلكاتهم المتبقية، انتهاجا لسياسة جهنمية سعت إلى اجتثاث رغبة تجديد المقاومة والامعان في تفقير السكان إلى أبعد الحدود، فكانت الصحافة في طليعة من نادوا بهذا التوجه حين نشطت حملة مسعورة بداية شهر أفريل ضد أي شكل من أشكال التسامح والعفو، مثلا كتبت صحيفة (Independant) يوم 29 أفريل 1871م، "ان اعطاءهم الأمان يعتبر جريمة، وان القانون الوحيد الذي يجب ان تواجه به تلك الحيوانات المسعورة هو قانون لنش ( ) (Lynnch)آجيرون شارل روبير، 2007: 50) ، كما تم استشارة الجنرال (هانوتو) لعلمه في المسألة، لأعلمه بشؤون المنطقة الذي أشار بفرض غرامة جبرية تساوي مرة ونصف المرة الغرامة السنوية بينما نصح صديقه (لوترنو) بمضاعفته سبعة عشر مرة. (آجيرون شارل روبير ، 2007: 52)

3-1- مصادرة ممتلكات الثواروالتغريم الحربي:

انطلقت عمليات المصادرة بصدور قرار المحافظ ألكسيس لامبرت (Alexis Lambert)يوم 31مارس 1871م، الذي صادق عليه وزير الداخلية يوم 7 ماي 1871، ينص على المصادرة الشخصية والجماعية لأملاك الأفراد، والجماعية لأملاك الأعراش، كما حدد الأميرال دوقيدون الحاكم العام، في الأمر الذي أصدره يوم 20 ماي 1871م إلى قائد القوات البرية والبحرية وحكام العمالات العسكرية، وكل ضباط الجيش، شروط استسلام الثوار المتمثلة في نزع سلاحهم، واخذ رهائن من السكان يوثق بهم وبتعهداتهم وتغريمهم بضرائب مستعجلة، وإلزام هيئات الجماعة التقليدية بتوزيع غرامات الحرب. (بوعزيز يحي، ثورة 1871، دور عائلتي المقراني والحداد فيها، 1978: 314)

قدرت غرامة الثوار ب 38325914 فرنك، تم تخفيضه الى ستة وثلاثين مليون ونصف مليون فرنك، سخر منه مبلغ لتوطين مهاجري الألزاس واللّورين، بينما صودرت بصورة جماعية أملاك وأراضي 313 قبيلة ودوار تشتمل على 5948 رئيس عائلة عزلوا من مناصبهم بتهمة المشاركة في الثورة، كما صودرت 611130 هكتار من الأراضي قدرت

قيمتها نقدا ب 91948450 فرنك، كما صودرت أملاك شخصية ل 3601 رئيس عائلة، بلغ مجموع المساحات المصادرة منهم 54461 هكتارا. (زوزو عبد الحميد، 1984: 189)

بلغ مجموع مساحات الأراضي المصادرة للشيخ الحداد أكثر من 502 هكتار تحتوي 62 قطعة فلاحية للحبوب والتين، الزيتون و6 بساتين مسقية للخضر والأشجار المثمرة و70 منازل شمل 41 غرفة و15 دكانا ومخزنا للتجارة، 3 اصطبلات و3 رحوات، ومسجد ومعصرة زيتون، كما حوصرت 14528 شجرة، (بوعزيز يحي، ثورة 1871، دور عائلتي المقراني والحداد فيها، 1978: 323) أما بالنسبة لعائلة المقراني فقد تم تجريدهم من كل ممتلكاتهم بعد أن تم إخضاعها فترة طويلة دامت سنتين، وفي 29. 07. 1873م صدرت ست قرارات تحتوي على كل الأملاك العقارية لفروع الأسرة المقرانية حيث قدرت مساحة الأراضي المصادرة ب 228298955 هكتارا. (بوعزيز يحي، ثورة 1871، دور عائلتي المقراني والحداد فيها، 1978: 318)

وقد أورد الكولونيل Robin، ضريبة الحرب المفروضة على منطقة القبائل كالآتي: منطقة دلس 1444100 فرنك، الإقليم المدني 254450 فرنك، تيزي وزو 3070630 فرنك، فور ناسيونال (الأربعاء ناث إيراثن) 2674220 فرنك، ذراع الميزان 1325100 فرنك، ضاحية الجزائر، 1260000فرنك، الإقليم المدني 210000فرنك، المجموع: 10238500فرنك.

فرع صور الغزلان aumal: منطقة صور الغزلان 667292 فرنك، ضاحية بني منصور 561330 فرنك، المجموع: 1228622فرنك. (Robin:525)

تنوعت المصادرة إلى نوعين: مصادرة شخصية لكل أملاك الأفراد الذين لعبوا دورًا أساسيا في الثورة سواء كانت عقارية أو غيرها، ومصادرة جماعية لسكان الأعراش والدواوير الذين أرغموا على دفع جزء من أراضيهم الجيدة لصالح الحكومة الاستعمارية وحتى الذين لم يكونوا يملكون الأراضي صودرت أملاكهم الأخرى كالدور والأثاث والحيوانات وبيعت بواسطة سلطات البلديات. (بوعزيز يحي، ثورة 1871، دور عائلتي المقراني والحداد فيها، 1978: 312)

بدأت عملية المصادرة بمنطقة القبائل الكبرى، حيث أرغمت الأعراش على التنازل عن 83780 هكتار، بعد أن دفعت في ثلاثة أيام فقط مبلغا قدره 10238000

فرنكا فرنسيا كضريبة حرب، وقد بلغ الحد إلى مصادرة حتى أدوات العمل والأواني ولا يسمح لكل من جرد من أملاكه إلاّ امتلاك محراث وثور ليتم تسخير جهوده كخماس. (agreron, les algériens..,1968: 50-59)

بحيث بلغت حصيلة الأراضي المصادرة في منطقة القبائل كالآتي:

تم مصادرة بصورة جماعية أملاك وأراضي ثلاثمائة وثلاثة عشر قبيلة ودوار، تشتمل على 5948 رئيس عائلة عزلوا من وظائفهم بتهمة المشاركة في الثورة، وبلغ مجموع مساحات الأراضي المصادرة منها 611130 هكتار، وقدرت قيمتها الحقيقية نقدا بمبلغ 91948450 فرنك.

ثم مصادرة أملاك شخصية لعدد 3601 رئيس عائلة بلغ مجموع المساحات المصادرة منهم 54461 هكتار. (Louis Rinn, 1891: 40-45) .

شملت عملية الحجز حتى السكان الذين لم يقدموا سوى بعض الأنصار للثوار، إذ عوقبوا بنفس الوسيلة والأسلوب فانتزعت منهم أراضيهم الجيدة بالجملة لصالح الاستعمار الفرنسي، كما خربت قراهم، وأخذت منهم مواشيهم، وقطعت أشجار تينهم وزيتونهم. (Robin colonel:510-528)

2-3- محاكمة الثوارالنفي إلى كاليدونيا الجديدة:

أسست السلطات الاستعمارية لجنة خاصة للمحاكمات من المحلفين الذين كانوا يجيدون تطبيق الأحكام القاسية ضد الثوار، والتي طالبت بإجراء المحاكمات بفرنسا لكن محكمة النقض رفضت ذلك(Louis Rinn, 1891: 649-650) .

ثم توزيع الثوار في عدة محاكم، فثوار الأخضرية (palestro) وبودواو وسهل يسر، شرشال، وبني مناصر بالمتيجة، قدموا إلى محكمة الجنايات بقسنطينة. أما الثوار الذين ينتمون إلى المناطق العسكرية ومنهم على أمزيان نايت أوكزوز رفيق الشيخ الحداد حوكم مع الآخرون أمام مجلس عسكري بالبليدة رغم انه من جرجرة.

في هذا الإطار أصدرت محكمة الجنايات لمدينة قسنطينة حكما بالإعدام على بو مرزاق المقراني في 1873/03/27م، بعد ما تم اعتقاله لمدة سنة، غير أنها استبدلته بالنفي إلى خارج الوطن (أوصديق الطاهر، 1989: 147-148) ما جعل بومرزاق يرسل رسالة مؤرخة في 1873/10/08 عبارة عن شكوى بعث بها إلى الجنرال شانزي (chanzy)

الحاكم العام للجزائر يلتمس منه إطلاق سراحه وإلحاقه بعائلته واسترجاع ممتلكاته، (بوعزيز يحي، ثورة 1871، دور عائلتي المقراني والحداد فيها، 1978: 329-333) رغم ذلك تم نفيه إلى جزيرة كاليدونيا الجديدة رفقة العديد من إخوانه-(Louis Rinn,1891:649 650).

أما بالنسبة للشيخ الحداد، فقد أصدرت محكمة الجنايات بقسنطينة في حقه حكما قضائيا بتاريخ 19-04-1873م يقضي بسجنه سجنا انفراديا لمدة خمس سنوات، ونفي ابنه عزيز خارج الوطن، كما أصدرت كذلك حكما بالسجن لمدة 10 سنوات سجنا انفراديا على أخيه محمد غيران الشيخ الحداد توفي بعد أيام معدودات من صدور هذا الحكم يوم 1873/04/29م. إلى جانب ذلك فقد أصدرت المحاكم الحربية عدة أحكام بالإعدام طالت ستة آلاف مواطن جزائري وأحكام أخرى بالنفي على 500 مواطن إلى كاليدونيا الجديدة، وأحكاما بالسجن مست عشرات الآلاف من الجزائريين، فضلا على الحصيلة البشرية الهائلة المتمثلة في استشهاد حوالي 60 ألف مواطنا جزائريا على رأسهم القائد الباشاغا محمد المقراني. (أوصديق الطاهر، 1989: 147-148)

الملاحظ على هذه الأحكام أنها قد تمت محاكمة الثوار على أساس أنهم قتلة وأشرار وسراق ومجرمين في حق القانون العام (Droit commun) رغم أن أسباب الثورة كانت سياسية كما أكد ذلك عدد من الشهود أمثال: جول فافر (Jules Favre) والنائب لوسياني (Luciani) والمحامي لوريي (Louriet) وغيرهم(Louis Rinn, 1891: 652-654) .

إن المحاكمات قد تعتبر إجراء مهذبا إذا ما قورنت بغيرها من العقوبات الأخرى، غير أن اعتبار الثوار سراقاً ولصوصا ومجرمين في حق القانون العام، هو الذي كان أمرا غير طبيعي، جعل المحاكمات عبارة عن مسرحيات بعيدة عن منطق العدالة وأجنبية عن القانون العام. (بوعزيز يحي، ثورة 1871، دور عائلتي المقراني والحداد فيها، 1978: 326)

بدأت عمليات النفي منذ 5 جوان 1874م، وقد أودع هؤلاء المحكوم عليهم مختلف السجون الفرنسية كسجن Talon، Belle ile، Avignon، calvi ليتم ترحيلهم بعدها إلى كاليدونيا على أربع دفعات على متن أربعة سفن أولها سفينة Laloire التي أقلعت يوم 5 جوان 1874م من Brest على متنها 39 متهم نفي منهم 5 وصلت إلى كاليدونيا

يوم 16 أكتوبر 1874م، سفينة calvados التي أقلعت من Brest يوم 2 سبتمبر 1874م على متنها 62 متهم توفي منهم 3، وصلت يوم 18 جانفي 1875م، سفينة Le navarin أقلعت يوم 13 جوان 1876م من Talon يوم 13 جوان 1876م على متنها منفيين واحد توفي، وسفينة La virginie، عموما ومن بين مئات المنفيين الذين وصلوا كاليدونيا الجديدة على مدار سنوات 1874م، 1875م، 1877م، 1878م، والذين يقدر عددهم الإجمالي 120 جزائريا، أكثر من ثلث العدد فقدوا في كاليدونيا الجديدة (16 توفوا و29 أصبحوا في عداد المفقودين)، أما الثلث الآخر فمنهم من فر . (التواتي،ص،2010: 125)

خاتمة:

إن الموقف الرافض للتواجد الاستعماري وسياسته التوسعية ببلاد القبائل (زواوة)، قد حاولت الطريقة الرحمانية التعبير عنه بواسطة العديد من الثورات قادها مقدمي هذه الطريقة خاصة وأن الإدارة الاستعمارية الفرنسية قد أولت اهتماما كبيرا بهذه المنطقة لكن هذا الاحتلال لقي مقاومة عنيفة خاصة من طرف الإخوان الرحمانيين باعتبار أن منطقة القبائل (زواوة) تعد أكبر تجمع لأتباع هذه الطريقة لتواجد الزاوية الأم بها.

حرصت الطريقة الرحمانية على زرع روح الجهاد لدى أتباعها ضد الاستعمار الفرنسي ويظهر ذلك جليا من خلال مشاركتهم الهامة في ثورة 1871م التي عبر فيها أبناء الطريقة الرحمانية عن رفضهم المطلق للوجود الاستعماري إلى جانب المقراني، والذي لم تكن لتعم ثورته وتنتشر في كل الجهات وتضم إليها عشرات الآلاف من الناس لولا قيام الرحمانيين إلى جانبه وارتمائهم في خضم المعركة.

شهدت منطقة القبائل عقابا تاريخيا مفزعا ومرعبا عقب فشل الثورة الرحمانية سنة 1871م، فبعد انطفاء جذوة هذه الثورة جاءت مرحلة الانتقام الوحشي والمصادرة للأراضي والتغريم الحربي، علاوة على كل هذا أحكام الإعدام والنفي والأعمال الشاقة التي طالت كل مشتبه به أملا منها في قتل روح المقاومة ووأدها للأبد في نفوس أهالي المنطقة.

•**الاقتراحات**: من أهم النقاط التي شدت انتباهي بشكل عام، أنه على الرغم من تنوع المواضيع العلمية التي تتعلق بجهاد الطريقة الرحمانية إلا أن هذه الدراسات لازالت

تحتاج إلى الدقة والموضوعية في تحليلاتها، هذا ما يجعلنا نفهم سر ذلك التخبط في كتابة تاريخ الجزائر، خاصة تاريخ المقاومات الشعبية، وفشل العديد من المحاولات الهادفة لتجاوز التاريخ السردي العاطفي لها، إلى التاريخ الموضوعي والاستراتيجي القادر وحده على ترسيخ مكانتها في عقول وضمائر الأجيال الجزائرية الحاضرة والمقبلة، وعلى تمكينهم كذلك من مقاربتها وفقا لرؤيتهم اليوم لذلك نرجو المزيد من العناية والدراسات الجدية الموضوعية البعيدة عن التاريخ السردي العاطفي لمثل هذه المواضيع.

•**التوصيات:** ندعو إلى:

- بذل المزيد من المجهودات في سبيل التعريف أكثر بتاريخ الجزائر المعاصر، وتوجيه العناية القصوى بالمواضيع التاريخية المتعلقة بتاريخ المقاومات الشعبية الجزائرية، شرط أن تكون دراسات علمية موضوعية ترقى بالمكانة المشرفة لتاريخ هذه المرحلة.

- بذل المزيد من الجهد في التعريف أكثر بالطريقة الرحمانية وأدوارها التاريخية وأعلامها خاصة بالنظر إلى المكانة التاريخية الهامة التي تتمتع بها في الجزائر خاصة من باب الاعتراف بالجميل، والحفاظ على الهوية الوطنية.

قائمة المصادر والمراجع:

• أبو القاسم، سعد الله،(1998م) ،**تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر هجري (16م.20م)**، جزء1، الطبعة الأولى. بيروت: دار الغرب الإسلامي.

• آجرون، شارل روبير ، (2007)، **المسلمون الجزائريون وفرنسا (1871م-1919م)**، تعريب: محمد حاج مسعود وأ. بكلي، جزء1، دار الرائد للكتاب.

• أجرون، شارل روبير ،(2002)، **المجتمع الجزائري في مخبر الإيديولوجية الكلونيالية. مقاومة القبائل للإدماج والتفكيك وفشل مشاريع التنصير والتجنيس**، ترجمة و تقديم و تعليق: محمد العربي ولد خليفة ، منشورات تالة، الجزائر.

• التواتي، الصديق، (2010) ، **المبعدون إلى كاليدونيا الجديدة، مأساة هوية منفية نتائج وابعاد ثورة المقراني والحداد**، الجزائر: دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع.

• الجبرتي، عبد الرحمن بن حسن الجبرتي (ت1240م) ، (1998)، **عجائب الآثار في التراجم والأخبار**،ط1. تحقيق: عبد الرحيم عبد الرحمان عبد الرحيم عن طبعة بولاق، القاهرة : دار الكتب المصرية.

• الجيلالي صاري ،(2008)، **الكارثة الديموغرافية 1867 – 1868** ، ترجمة : عمر المعراجي ، منشورات ANEP ، الجزائر.
• الجيلالي، محمد بن عبد الرحمان،(1994) ، **تاريخ الجزائر العام**، جزء 4،ط7. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
• الحسني، عبد المنعم القاسمي، (2005) ، **المؤلفات الصوفية في الجزائر**، تقديم الأستاذ الدكتور عمار عيدل، ط1. بوسعادة، الجزائر: دار الخليل للنشر والتوزيع.
• الحسني، عبد المنعم القاسمي، (2008-2009) ، **الطريقة الخلوتية الرحمانية الأصول والآثار منذ ظهورها إلى غاية الحرب العالمية الأولى**، مذكرة دكتوراه في العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر.
• الحفناوي أبو القاسم محمد، (1906)، **تعريف الخلف برجال السلف**، ط1. الجزائر: مطبعة بيير فوفتانة الشرقية.
• الزواوي، أبو يعلى، (2005)، **تاريخ زواوة**، مراجعة وتعليق: سهيل خالدي، الجزائر: منشورات وزارة الثقافة.
• الساحي، أحمد، (د.ت)،**الزواوة من القرن السادس عشر حتى القرن الثامن عشر،عهد امارة كوكو،(1512م- 1767م)**، الجزائر: دار الأمل للطباعة والنشر.
• الشافعي، حسن والعجمي، أبو اليزيد ، (2007)،**في التصوف الإسلامي**،ط1. القاهرة: دار السلام للطباعة النشر.
• العسلي، بسام ، (د.ت)،**محمد المقراني وثورة 1871م**، ط2. بيروت: دار النفائس .
• العلوي، محمد الطيب ، (1985)،**مظاهر المقاومة الجزائرية (1830م61954م)**، دمشق، سوريا: دار البعث للطباعة والنشر والتوزيع.
• الكوثري، محمد زاهد ، (2004)، **البحوث السنية عن بعض رجال الطريقة السنية الخلوتية**، ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.
• المراكشي، العباس بن إبراهيم ، (1974م)،**الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام**، الرباط : المطبعة الملكية.
• أوصديق ، الطاهر، (1989) ، **ثورة 1871م**، ترجمة: صباح مسعود، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.

• بطاش، علي ، (د.ت)،**ملحمة من تاريخ منطقة القبائل حياة الشيخ الحداد وثورة 1871م**، الجزائر: دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع.
• بقطاش، خديجة ،(2007)، **الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر (1830م– 1871م)**، منشورات دار دحلب، الجزائر.
• بن خلدون، عبد الرحمان ، (2001)، **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، جزء 6، لبنان: دار الكتاب العلمية.
• بن خلكان، أحمد بن محمد أبو العباس شمس الدين (ت681هـ/1282م) ، (1968م)، **وفيات الأعيان و إنباء أبناء الزمان**، تحقي إحسان عباس، بيروت: دار صادر.
• بن مخلوف، محمد بن محمد (ت1355) ، (1930م)، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، القاهرة: المطبعة السلفية.
• بنعزوز، محمد المكي، (1984م) ،**رسائل بنعزوز**، جمع وتحقيق علي رضا الحسني، ط1. دمشق: الدار الحسينية.
• بوعزة بوضرساية،(2012)، **سياسة فرنسا البربرية في الجزائر (1830م-1930م) و انعكاساتها على المغرب العربي**، دار الحكمة للنشر، الجزائر.
• بوعزيز، يحي ، (1978)، **ثورة 1871، دور عائلتي المقراني والحداد فيها**، الجزائر: المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع.
• بوعزيز، يحي ، (1989م)،**وصايا الشيخ الحداد ومذكرات ابنه سي عزيز**، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.
• بوعزيز، يحي ، (1994)،**موقف العائلات الأرستقراطية من الباشاغا المقراني وثورته عام 1871م**، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.
• بوعزيز، يحي ، (2009)، **ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين**، جزء 2، عين مليلة، الجزائر: دار الهدى.
• بونابارت، نابليون ،(1822)، **مذكرات نابليون** ، الحملة على مصر ، ترجمة : عباس أبو غزالة ، تقديم : ثيري لينثر.
• تركي ،رابح ، **الشيخ عبد الحميد ابن باديس، فلسفته و جهوده في التربية و التعليم**، الجزائر.

• زوزو، عبد الحميد ، (1984)، **نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر (1830م-1900م)**، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.
• سعدي، عثمان، (2012) ، **الجزائر في التاريخ**، الجزائر: دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع.
• سعيدوني، ناصر ،(2001)، **المسألة البربرية في الجزائر: دراسة للحدود الإثنية للمسألة المغاربية**، مجلة عالم الفكر، العدد 04، المجلد 32،(المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب)، أبريل-جويلية 2001 الكويت.
• سعيدي، مزيان،(1999)، ال**نشاط التبشري للكاردينال لافيجري في الجزائر 1867-1892**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، معهد التاريخ، جامعة الجزائر.
• سعيدي، مزيان،(2008-2009)، **السياسة الاستعمارية الفرنسية في منطقة القبائل و موقف السكان منها (1871 – 1914)**، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر،جامعة الجزائر.
• طالبي، عمار ، (1425هـ-2004م)،**مقالات حول ثورة المقراني والحداد 1871م**، الجزائر: منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف.
• عبد الحميد إحساين،(1887)، **أصول سياسة فرنسا البربرية إلى غاية 1830م**، الرباط.
• عليوان، اسعيد ، (2002)، **الطريقة الرحمانية ودورها في الجهاد**، مجلة المعيار، العدد 8، جوان.
• فراد، محمد ارزقي ، (2005)،**اطلالة على منطقة القبائل**، الجزائر: دار الأمل للطباعة والنشر.
• فركوس، صالح ، (2002)، **المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين (814 ق.م-1962م)**، الجزائر: دار العلوم للنشر والتوزيع، مطبعة باتنة.
• مالتسان، هاينريش فونا ، **ثلاث سنوات في شمال إفريقيا**، ترجمة: أبو العيد دودو، ج1، الجزائر.
• مفتاح، عبد الباقي ، (1406هـ)،**أضواء على الطريقة الرحمانية الخلوتية**، ط1. وادي سوف، الجزائر: دار الوليد للنشر، وادي سوف.
•Agrèron, Charles Robert, (1968), les Algerien musulmans et la France 1871-1914, paris, p u F, Tome 1.
•Coppolani, Xavier et dupont ,octave, (1891), confreries religieuse musilmanes, alger, edition jourdan.

• De neuveu, (1913), les khouas ordres religieux chez les musulmans , Algerie: jourdan.
•Hanoteau, et Letourneux , la kabylie et les coutumes Kabyle ,edition bouchene, T2, 2003 .
•Julien, Charles andré,(1952), L'Afrique du nord en marche, paris, Julliard
•Lallaoui,mehdi (1999), kabyles du pacifique, édition alternatives, france.
•Louis, Rinn, (1880), Régime pénal de l'indigénat en Algerie, le séquestre et la responsabilité collective, adolphe, jourdain, alger.
•Louis, Rinn, (1891), Histoire de l'insurection de 1871 en Algerie, edition jourdan.
•Mouloud, Gaid, (1991), Histoire de Bejaia et de sa Région Depuis l'anliquité jusque à 1954,Edition Mimouni, Alger, 2eme Edition.
•Nadir, Ahmed, (decembre 1972), les ordres religieux et la conquete Francaise (1830-1851), la revue Algerienne, des sciences juridiques, économiques, Faculté de droit Alger, Volume IX, N°:4.
•Robin, (1873), Notes sur l'organisation Militaire et administrative des turcs seux la grande kabylie , in revue africaine, N°17.
•Ageron, Charles Robert, les algériens musulmans et la France, PUF, Paris, 1968, T1.
•AZAN, general paul, les grands soldats de l'Algérie, cahiers du centenaires de l'Algérie, publication du comité nationale métropolitaine de l'Algérie, SDL.
•Emerit, Marcel , le problème de la conversion des musulman d'Algérie sous le second Empire le conflit entre Mac Mahon et Lavigerie , in , (R .H) , T 23 , 1960 .
•Geniaux Charles, sous les figuirs de la kabylie, edition Ernest Flamarion, Paris, 1917.
•Lavigerie, Charles Antoine Martial, texte des Œuvres choisies , lib poussielgues , T 1 , 1884 .
•Mayaur, G.Reussen (M) , vingt-cinq année d'espixopots en France et en Algérie , document biographique sur son éminence le Cardinale Lavigerie , T1 , librairie adolphe jourdan , Alger , 1838 .
•Mercier, Cardinal; la revue catholique des idées et des faits, N°14, 24, juin 1938.
•Renard, Edmon , le Cardinale Lavigerie , ed spes , paris , 1926.
•Robin N. colonel, L'insurrection de la grande Kabylie en 1871, Paris.

•Tiquet, G, une expérience des petites colonisations , les colons chrétiens du Cardinale Lavigerie , Alger , 1936 .
•Yvonn, Turin ,la commune d'Alger et ses écoles ,Revue d'histoire et de civilisation du Maghreb, Janvier 1970 .